دور المشترك الإنساني في تحقيق عالمية رسالة الإسلام عند الطاهر بن عاشور

إيمان عبد العليم ساجد محمد (*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام والمرسلين، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

أما بعد،،،

فقد أنزل الله القرآن هداية للإنسانية الحائرة، وإخراجًا لها من شِقوة الانحراف إلي نور الايمان بالله، بما يسُن لها من قوانين، ويرسم لها من مبادئ تتلاقي مع الفطرة السليمة، وتوائم كل عقل، وتستوعب تطور الإنسانية علي اختلاف مراحلها، وتحفظ للحياة اتزانها واستقرارها.

ولقد حوى القرآن منهجًا متكاملًا للحياة الإنسانية، ودستورًا قويمًا يهدي البشرية إلي الصراط المستقيم؛ فالقرآن هداية الخالق لإصلاح الخلق، وشريعة السماء لأهل الأرض وهو التشريع العام الخالد الذي تكفل بجميع ما يحتاج إليه البشر في كافة الأمور؛ في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والاجتماع والاقتصاد.

ومن أهم دلائل عظمة القرآن المجيد دعوته إلى التعايش الإنساني، الذي تحتمه السنن الإلهية التي لا تتغير ولا تتبدل، ومنها سنة الاختلاف التي يقررها القرآن في مواضع عديدة منها قوله تعالى :﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(١)

كما تتسم رسالة الإسلام بالعالمية والوحدة الإنسانية؛ إذ يقرر القرآن العظيم أن الله تعالى رب العالمين، وليس رب العرب أو المسلمين فحسب، وهو تعالى إله

(*) هذا البحث من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [قضايا المشترك الإنساني عند الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره(التحرير والتنوير)] تحت إشراف أ.م.د. عماد حمدي إبراهيم – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.م.د. عبد الله محمد يوسف – كلية الآداب - جامعة سوهاج.

(١) سورة هود، الآيتان ١١٨ – ١١٩

الناس جميعا، قال الله تعالى ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾[1]، والقرآن العظيم أنزل للناس جميعًا ؛ يقول تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾[2] ويخاطب الله تعالى الناس جميعًا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾[3] وأن الرسولَ –صلى الله عليه وسلم - مبعوثٌ للعالمين ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[4]

خطة الدراسة

تشتمل الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وفهارس على النحو الآتي:

المقدمة :

وتشتمل على أهمية موضوع الدراسة ودوافع اختياره، وأهداف الدراسة، وحدودها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة.

التمهيد :

وأتناول فيه التعريف بمدلولات عنوان الدراسة، ويشتمل على :

(أولًا):التعريف بالمؤلف والكتاب.

(ثانيًا):التعريف بمفهوم المشترك الإنساني.

(ثالثًا): التعريف بمعنى عالمية رسالة الإسلام

الفصل الأول: مقومات المشترك الإنساني في تحقيق عالمية رسالة الإسلام.

ويحتوي علي الآتى :

المبحث الأول : مقومات وأسس بناء وتكوين المشترك الإنسانى فى المنهج القرآنى

المبحث الثانى: المشترك الإنسانى وأثره فى تحقيق عالمية رسالة الإسلام

وأما الخاتمة :

ففيها أهم النتائج التي تتوصل إليها الدراسة، وأهم التوصيات

---

(1) سورة الناس، الآية٣

(2) سورة البقرة، من الآية ١٨٥

(٣) سورة البقرة، من الآية ٢١

(٤) سورة الأنبياء، من الآية ١٠٧

أولًا : التعريف بالمؤلف والكتاب

اسمه ولقبه ومولده

هو العلامة الإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلى بن عبد القادر بن محمد بن عاشور التونسى(١٢٩٦هـ-١٣٩٣هـ)(١٨٧٩م-١٩٧٣م) وأمه فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتور وسوف تأتى ترجمته لاحقًا بإذن الله .

من مواليد ضاحية المرسى([1])، فى جمادى الأولى من سنة(١٢٩٦هـ) سبتمبر(١٨٧٩م) فى قصر جده للأم الصدر الأعظم محمد العزيز بوعتور .

نشأ شيخنا في رحاب العلم والجاه، فسلك تعلُّم القرآن الكريم في سنِّ السَّادسة من عمره فقرأه، وحفظه وأتقنه جيدًا على يد المقرىء محمد الخيارى(٢) بمسجد سيدى أبى الحديد المجاور لبيتهم بنهج الباشا بمدينة تونس، ثم حفظ مجموعةً من المتون منها متن ابن عاشر، والرسالة، والقطر لابن هشام، والمكودي على الخلاصة في النحو، والسُلّم في المنطق، وتللك المتون هى التى كانت تهىء الطالب للدراسة فى جامع الزيتونية ،، وتلقَّى قواعد العربيَّة وأتقنها، وتعلم ما تيسر من اللغة الفرنسية وقرأ وتعلم بجامع الزيتونة على يد جماعة من أعلامه.

فقد كان والده الشيخ محمد بن عاشور من فقهاء عصره، وتقلَّد مناصب هامَّة في القضاء والإفتاء والتَّدريس، وله إضافات علمية جمة، وشروحات على كتب السابقين عديدة.

---

(١) المرسى : هى ضاحية جميلة من الضواحى الشمالية للعاصمة التونسية، تقع على شاطىء البحر الابيض المتوسط ،وتبعد نحو عشرين كيلو مترًا من تونس . انظر : كتاب من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته واثاره، د. بلقاسم الغالى، دار بن حزم الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤١٧(ه _١٩٩٦م)،(ص ٣٧) ومعجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى شهاب الدين ابو عبدالله(ت٦٢٦ه) الناشر دار صادر ،بيروت ،الطبعة الثانية، سنة النشر(١٣٩٧ه_١٩٩٣م)، ص(١٠٧/٥) .

(٢) محمد الخيارى : مقرئ للقرآن الكريم، قرأ عليه ابن عاشور فى مسجد سيدى أبى حديد ،القرآن الكريم ،وحفظه على يديه ،ويقع مسجده مجاورًا لبيتهم بنهج الباشا بتونس .انظر : محمد الطاهر بن عاشور علامه الفقه وأصوله ،لإياد الطباع، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى(ص٣٤_٣٥)

وجَدُّه لأمِّه؛ العالم الوزير محمد العزيز بُوعَتُّور(١٢٤٠-١٣٢٥ه) ([1]) الذى كان ضليعًا فى اللغة، والأدب، وعلوم الشريعة، وغيرها.

وللشيخ الإمام أحفاد بررة وأساتذة جامعيون، منهم الأستاذ الدكتور المؤرخ محمد العزيز بن عبد الملك بن محمد الطاهر، والأستاذ الدكتور الحقوقى عياض بن محمد عاشور، الذى تولى مناصب هامة منها رئاسة الجامعة التونسية(٢).

التعريف بالكتاب(التحرير والتنوير)

هو تفسير التَّحرير والتَّنوير الذي سمَّاه مؤلفه:(تحرير المعنى السَّديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد). وقد قدَّم له بتمهيدٍ وافٍ ذكر فيه مُراده من هذا التفسير، فقال: " ...فجعلت حقّاً عليَّ أن أبدي في تفسير القرآن نُكتاً لم أرَ من سبقني إليها، وأن أقفَ موقف الحكم بين طوائف المفسِّرين تارةً لها وآونةً عليها، فإنَّ الاقتصار على الحديث المعاد، تعطيلٌ لفيض القرآن الذي ماله من نَفاد، ولقد رأيت النَّاس حول كلام الأقدَمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما شادَه الأقدمون وآخر آخذٌ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي تلك الحالتين ضررٌ كثير، وهنالك حالةٌ أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمِدَ إلى ما أشاده الأقدمون فنهذِّبه ونزيده وحاشا أن ننقضه أو نبيده، علمًا بأنَّ غمط فضلهم كُفْرانٌ للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حَميد خصال الأمَّة..."(٣).

ومن الملاحظ أن كتاب التحرير والتنوير من أبرز تفاسير القرن الرابع عشر، ومن أدقهم في فهم كلام الله المجيد، وكان تفسيراً عصرياً يفهمه كل من

---

(١) محمد العزيز بن محمد الطيب بن الوزير محمد بن محمد بوعتور ، ولد سنة (١٢٤٠ه) التحق بجامع الزيتونة سنة (١٢٥٤ه) ، وتقلد مناصب اصلاحية عديدة ، كانت له جوانب علمية بالاضافة الى جوانب ادارية واصلاحية منها ، اسهامه فى اصلاح نظام التعليم فى جامع الزيتونة ، كذلك فى تاسيس المدرسة الصادقية ، وجمعية الاوقاف ، وتنظيم المحاكم الشرعية ، وغيرها ، وقيل انه وفر لحفيده محمد الطاهر بن عاشور عنآية فائقة حتى انه كتب له بخطه نسخة من (المفتاح للسكاكى) ونسخ له (متن البخارى) فى جزء فريد وجمع له فى دفتر كبير نصوصا من عيون الأدب وامهات الكتب ، توفى سنة (١٣٢٥ه) : انظر : شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، مصدر سابق ، (ص:٤٠-٤٢)

(٢) محمد الطاهر بن عاشور علامه الفقه وأصوله ؛ اياد خالد الطباع،(ص٢٧)

(٣) التحرير والتنوير، الإمام العلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور دار سحنون للطباعة والنشر، تونس،(١٩٩٧م).(ج١/ص٧).

يقرأه، أو يتطلع عليه فهو تفسير للقرآن المجيد ويقع فى ثلاثين جزءًا(١) اهتم فيه المؤلف باستخراج معاني الكتاب العزيز بالتفسير البياني التحليلي، وما حواه من المسائل التي لم يذكرها المفسرون السابقون، وأيضًا كان شيخنا ممن استخدم العقل في فهم آيات القرآن الكريم، فقال في بيان غرضه من تأليفه : "..أما بعد فقد كانت أمنيتي منذ أمدٍ بعيدٍ، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها، طمعًا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع وتفاصيل مكارم الأخلاق كان يلــوح أنموذج من جميعها في خلال تدبّره أو مطالعة كلام مفسّره.. "(٢)

فقد ابتدأ بتقديم مقدمات تكون عونًا للباحث في التفسير، وتغنيه عن معاد كثير .

وقال الإمام فى نهاية تفسيره : وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة ١٢ من شهر رجب ١٣٨٠ه، فكانت مدة تأليفه تسعاً وثلاثين سنة وستة أشهر، وكان تمامه بمنزله ببلد المرسى، شرقى مدينة تونس، وكتبه محمد الطاهر بن عاشور."(٣)

ثانياً : التعريف بمفهوم المشترك الإنساني

أ- المشترك لغَة :

جاء فى المعاجم العربية : شرك: الشَريكُ يجمع على شُرَكاءَ وأشراك، مثل شريف وشرفاء وأشراف، والمرأة شريكة، والنساء شرائك. وهو مأخوذ من الشركة : ويقال شارَكتُ فلاناً فى الامر شركا: أى كان لكل منهما نصيب فهو شريك، وشَرِكْتُهُ في البيع والميراثِ أَشْرَكُهُ شِرْكَةً، ويقال رأيت فلاناً مشتَرَكاً، إذا كان يحدِّث نفسَه كالمهموم ومال مشترك أو أمر مشترك : أى لك ولغيرك فيه نصيب(٤)

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، مصدر سابق، ص٢٣٨

(٢) التحرير والتنوير ،(ج١/ص٥).

(٣) نفس المصدر السابق،(ج٣٠/ ص٦٣٧)

(٤) ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، المتوفى: ٣٩٣. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، باب الكاف فصل الشين،(شرك)،ج٤،(ص:٥٩٣) ومختار الصحاح لمحمد بن أبيبكر بن عبد القادر الرازى ،مكتبة لبنان(١٩٨٦م)، مادة(شرك)،(ص١٣٢)، والمعجم الوسيط : لإبراهيم

ب- المشترك اصطلاحًا:

تحدث علماؤنا في أصولهم عن المشترك اصطلاحًا، لكنهم قيدوه "باللفظي". ولقد تنبه ابن عاشور إلى أهمية وجود المشترك في اللغة وأثره في الدلالة القرآنية، فقد استفاض في الحديث عنه في المقدمة التاسعة التي عقدها "في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها "([1])

ولقد جعل ابن عاشور استعمال اللفظ المشترك في معنييه أو معانيه دفعة وأن يطلق على عدة من معانيه جميعًا أو بعضًا اطلاقًا لغويًا"([2])

ومن المواضع التي ذكر فيها المشترك في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾(٣)

يقول ابن عاشور"والأمر بالنظر مستعمل في التعجيب والتهويل فإن أريد بالعاقبة عاقبتهم في الدنيا فالنظر بصري، وإن أريد عاقبتهم في الآخرة كما يقتضيه السياق فالنظر قلبي، ولامانع من إرادة الأمرين واستعمال المشترك في المعنيين"(٤)،

ويقولُ زكريا الأنصاري(٥):

انيس واخرون، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م،(ص٤٨٠)، ومقاييس اللغة لابن فارس، معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين(المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. باب الشين والراء وما يثالثهما(شرك)،ج٣، ص٢٦٥

(١) التحرير والتنوير ج١(ص٩٣)

(٢) نفس المصدر السابق، ج١(ص ٩٨-٩٩)

(٣) سورة الصافات الآيتان(٧٢-٧٣)

(٤) التحرير والتنوير ج٢٣(ص١٢٨) وانظر أيضًا عند تفسيره، آية ١٢٧ من سورة النساء، ج٥(ص٢١٤)

(٥) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعيّ، أبو يحيى:(٨٢٤ – ٩٢٦ هـ = ١٤٢٠ – ١٥٢٠ م)، شيخ الإسلام. قاض مفسر، من حفاظ الحديث، نشأ فقيرا معدما، قال عن نفسه عندما رحل الى القاهرة والتحق بالازهر " جئت من البلاد وانا شاب فلم أعكف على الاشتغال بشيء من امور الدنيا، ولم اعلق قلبى باحد من الخلق ،وكنت فى الجامع اجوع كثيرا، فاخرج فى الليل الى الميضأة وغيرها، فاغسل ما اجده من قشيرات البطيخ واكلها ..." انظر : الحدود الانيقة، والتعريفات الدقيقة، للقاضى الشيخ زكريا بن محمد الانصارى(٨٢٤_٩٢٦ه)، تحقيق د/مازن المبارك ،١٤١١ه_١٩٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت -لبنان ،ص٩_١٠

"ما وُضع لمعنيين فأكثر، كالقرء للطُّهْر والحيض"(١)

ج- المركب الوصفي(المشترك الإنساني):

أما المركب الوصفي(المشترك الإنساني) فقد تناوله بعض المعاصرين، ومنهم على سبيل المثال الدكتور راغب السرجانى حيث يقرر أن المشترك الإنساني هو بداية نجاة العالم وصلاح البشرية وتعايش الناس تعايشًا سلميًا ومنطقيًا نافعًا مرجعه إلى التعارف؛ فلو تعارفنا جميعًا لأدركنا أننا شيئًا واحدًا وأدرك كل منا مدى احتياجه للأخر، فنحن نسير فى صحراء قاحلة، أنا أعرف الطريق وأنت معك الماء بدونى تتوه وتهلك وبدونك أظمأ وأهلك، فلو اشتركنا معًا وتعاونا واتحدنا وتعارفنا نستطيع أن نتجاوز الصحراء المهلكة(٢).

فالمشترك الإنساني عند راغب السرجاني هو التعارف الإنسانى لتحقيق التعايش السلمى، وتبادل المصالح المشتركة بين الناس.

ومنهم الأستاذ أحمد الفراك، فقد عرف المشترك الإنساني بكونه " وحدة القواسم المشتركة الكبرى الأصيلة والمتغيرة فى الإنسانية، التى جعلت منها الشعوب والقبائل وتحددت المصالح والمراشد، من أجل تحقيق التعارف والتعاون، بدءًا من الأسرة إلى جماعة الإنسانية مرورًا بمختلف أشكال الإجتماع البشرى الدموية، والقبلية، والمدنية وهذا ما يؤسس مقصد التعارف بين الناس من وجه نظر الكاتب "(٣)

ومنهم أيضًا الأستاذ محماد رفيع، فقد عرف المشترك الإنساني "بأنه مجموعة القيم الإنسانية الموجودة في جوهر كل الأديان والحضارات والمدارس الفكرية ؛ والتى تلبي حاجات الإنسان الفطرية من حيث هو إنسان، فهي قيم ومبادئ عابرة للخصوصيات الثقافية للأمم، كإقامة العدل وإنصاف المظلوم وبغض الظلم، وكتحقيق الحرية وكرامة الإنسان، وكالحفاظ على النفس الإنسانية وتأمين

(١) الحدود الأنيقة، زكريا بن محمد الأنصاري، ١٤١١هـ،: تحقيق مازن المبارك، بيروت: دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ص٨٠.

(٢) انظر: المشترك الإنساني نظرة جديدة للتقارب بين الشعوب، راغب السرجانى، مؤسسة اقرا،القاهرة،ط١(١٤٣٢ه/٢٠١١م)(ص٩)

(٣) نظرات فى مقاصد العمران الإنساني فى القرآن ،أحمد الفراك ،مجلة بحوث العلوم الإسلامية ،العدد٣ /٢٠١٨م،(ص١٤٣)

حاجاتها المختلفة، إلى غيرها من القيم المشتركة الأخرى التي لا تختص بها أمة ولا حضارة ولا دين ولا ملة "(١)

ومن خلال ما سبق يمكن تعريف المشترك الإنساني بأنه : كل ما يجمع الإنسان مع غيره الإنسان، من قواعد وقيم وحاجات إنسانية، هدفها الحفاظ على الكيان الإنساني.

التعريف بمعنى عالميّة رسالة الإسلام

يُقصد بعالميّة الإسلام هو انتشاره في العالم كلّه، أى "عالميّته" لأن لفظ عالَم عبارة عن مصدر صناعيّ من عالَم، والعالَمُ: الخَلْقُ كُلُّهُ، أو ما حَواهُ بَطْنُ الفَلَكِ(٢)

فهو الدّين الذي اختاره المولى سبحانه، وارتضاه لجميع البشرية إلى قيام الساعة، فشريعته وتعاليمه عامّة لكلّ أبناء البشريّة دون استثناء أحد، ولا تقتصر على شعب دون آخر، أو عقل دون آخر، بل إنَّ الإسلام عامّ لجميع الأمم والمجتمعات والأجناس والأعراق ليس ذلك فحسب بل لعالم الجان أيضًا، فهو دين جاء شاملاً لكلّ مناحي الحياة، وملبيًّا لجميع متطلبات النّاس، وهو صالح للتّطبيق في كلّ زمانٍ ومكانٍ .

فالخالق تعالى رب العالمين، وليس ربًّاً للعرب أو المسلمين، بل ربًا للعالمين، حيث يقول الله تعالى في كتابه العزيز : : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣).

يقول ابن عاشور " و(الْعَالمين) جَمْعُ عَالَمٍ قَالُوا وَلَمْ يُجْمَعْ فَاعَلٌ هَذَا الْجَمْعَ إِلَّا فِي لَفْظَيْنِ عَالَمٌ وَيَاسَمٌ، اسْمٌ لِلزَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْيَاسَمِينَ، قِيلَ جَمَعُوهُ عَلَى يَاسَمُونَ وَيَاسَمِينَ... وَالْعَالَمُ الْجِنْسُ مِنْ أَجْنَاسِ الْمَوْجُودَاتِ، وَقَدْ بَنَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى وَزْنِ فَاعَلٍ بِفَتْحِ الْعَيْنِ مُشْتَقًّا مِنَ الْعِلْمِ أَوْ مِنَ الْعَلَامَةِ لِأَنَّ كُلَّ جِنْسٍ لَهُ تَمَيُّزٌ عَنْ غَيْرِهِ فَهُوَ لَهُ عَلَامَةٌ، أَوْ هُوَ سَبَبُ الْعِلْمِ بِهِ فَلَا يَخْتَلِطُ بِغَيْرِهِ"(٤) .

---

(١) انظر : المنهج القرآني في بناء المشترك الإنساني، رفيع محماد بن محمد، مجلة إسلامية المعرفة عدد ٦٦،المجلد ١٧ سنة النشر ٢٠١١م/١٤٣٢ه، بيروت(ص١٧)

(٢) القاموس المحيط للفيروز ابادى ج١(ص١٤٠)

(٣) سورة الفاتحة آية ١

(٤) التحرير والتنوير ج١(ص١٦٨)

والقرآن الكريم كتاب للعالمين: أنزله الله تعالى هدايَة ونورًا للعالمين، حيث يقول الله تعالى: (: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

فهو خطاب لجميع الناس، وتوجيهاته عامة للجميع، والقرآن هو وحي الله لرسوله محمد -صلّى الله عليه وسلّم-، وجاءت تشريعاته لإصلاح أحوال كافّة البشر سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين.

والنبيّ محمّد- صلّى الله عليه وسلّم -رسول الله للناس جميعًا، بشيرًا ونذيرًا، ورحمَة للعالمين يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

ولا شكّ أنّ الاعتقاد الديني، والميل الديني حاجة روحية، ضرورية لصلاح البشر، فلا يختص بها فريق من الناس، دون باقي البشر؛ لذلك كانت الحاجة ماسة إلى دين عالمي، يكون دعوة إلى جميع البشر(٣)

فالعالمية صفة تميزت بها رسالة الإسلام، والعالمية الإسلامية تسعى إلى نشر الفكر والثقافة الإسلامية من خلال الإيمان بأحقية هذه الحضارة، وإبراز إيجابيتها . وليس بفرضها على الآخرين وتمزيق حضارتهم، وإلغاء هويتهم.

والعالمية التي يدعو إليها الإسلام تقوم على أساس الاعتراف بالآخر في هويته وثقافته وحضارته، وبناء على ذلك ينبغي على المسلمين إحياء عالمية الإسلام وتوجيهاته الإنسانية ونقلها إلى الناس.

فالإسلام جاء لنشر مكارم الأخلاق، ومساعدة الفقراء، والإسلام لا يلغي الآخر، بل يحاور الآخر للوصول إلى الحق والصواب، والإسلام يقر التنوع الثقافي، لأن التنوع الثقافي والفكري من ضرورات التعايش، وإن من عالمية الإسلام وإنسانيته العمل لصالح البشر جميعًا، وليس للمسلمين فقط، وإلا كيف يكون رحمَة للناس ونصرة للمستضعفين؟.

---

(١) سورة يونس آية ٣٧

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٧

(٣) النصرانية والإسلام، أ. محمد عزت الطهطاوي:. [ص:٣٠٨]، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، مكتبة النور - القاهرة).

فقد جاءت الشريعة الإسلامية خالدة على الدهر، باقية على الزمن، وافية بحاجات الأمة في نظامها العبادي، والفردي، والخُلُقي، والإجتماعي.([1])

لذلك وجب القول والتأكيد على عالمية هذا الدين، وعموميته، فدعوته ليست خاصة، بل هى دعوة ورسالة عامة وشاملة لكل الناس فى مشارق الأرض ومغاربها، ومّا يؤكّد عالميته أنّ مصدره ربانيّ، وكتابه الخالد أكد على ذلك فى أكثر من موضع كما سنرى.

لذلك فهى رسالة" عالمية" بكل ما يحمله اللفظ من معانٍ.

(١) خصائص الشريعة الإسلامية ومميزاته، الشيخ السيد سابق:. المقدمة "ج١"، ط ١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، الفتح للإعلام العربي - القاهرة. وأيضًا : أصلح الأديان للإنسانية "عقيدة وشريعة" أ. أحمد عبد الغفور عطار: ،ص:١٠٨/، ط ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، مكة المكرّمة).

مقومات المشترك الإنساني في تحقيق عالمية رسالة الإسلام.

ويحتوي علي الآتى :

المبحث الأول : مقومات وأسس بناء وتكوين المشترك الإنسانى فى المنهج القرآنى

المبحث الثانى: المشترك الإنسانى وأثره فى تحقيق عالمية رسالة الإسلام

المبحث الأول
مقومات وأسس بناء وتكوين المشترك الإنسانى

إن وحدة المشترك الإنسانى حقيقة وجودية كونية قررها القرآن الكريم على أسس ومقومات قام عليها هذا المشترك الإنسانى نعرض منها ما يلى :

(١) وحدة أصل الإنسانية

قرر القرآن فى أكثر من موضع أن الناس جميعهم من أصل واحد وأب واحد وهو(آدم)-عليه السلام - يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(١)

يقول ابن عاشور فى التذكير بأصل الإنسانية "وَاعْلَمْ أَنَّ مَوْقِعَ الدَّلِيلِ بِخَلْقِ آدَمَ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ هُوَ أَنَّ خَلْقَ أَصْلِ النَّوْعِ أَمْرٌ مُدْرَكٌ بِالضَّرُورَةِ لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ إِذَا لَفَتَ ذِهْنَهُ إِلَى وُجُودِهِ عَلِمَ أَنَّهُ وُجُودٌ مَسْبُوقٌ بِوُجُودِ أَصْلٍ لَهُ بِمَا يُشَاهِدُ مِنْ نَشْأَةِ الْأَبْنَاءِ عَنِ الْآبَاءِ فَيُوقِنُ أَنَّ لِهَذَا النَّوْعِ أَصْلًا أَوَّلَ يَنْتَهِي إِلَيْهِ نُشُوءُهُ، "(٢)

" فآدم أبو البشر، قال القاضي والمراد من ابن آدم: آدم وأولاده فكأنه صار اسمًا للنوع كالإنسان والبشر، وصدر به تنبيها للمنادى ليقبل بكليته على ما يلقى إليه"(٣)

ونكتفى بهذا القدر فقد تحدثنا سابقًا فى الفصل الأول عن هذا الموضوع .

---

(١) سورة النساء آية ١

(٢) التحرير والتنوير ج١(ص٣٩٥)

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري(المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة: الأولى، ج١ص(٨٦)

(٢) وحدة العبودية التكوينية الإضطرارية

إن وحدة الربوبية للخالق سبحانه، تستدعى وحدة المربوبية فى حق الناس جميعًا فجميع الخلق متساوون فى الخضوع التكوينى الاضطرارى لخالقهم سبحانه من خلال القوانين الثابتة التى تنظم هذا الكون بأجمعه يقول تعالى : (﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(١)

يقول ابن عاشور " وَمَعْنَى طَوْعًا وَكَرْهًا أَنَّ مِنَ الْعُقَلَاءِ مَنْ أَسْلَمَ عَنِ اخْتِيَارٍ لِظُهُورِ الْحَقِّ لَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ بِالْجِبِلَّةِ وَالْفِطْرَةِ كَالْمَلَائِكَةِ، أَوِ الْإِسْلَامِ كَرْهًا هُوَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ الِامْتِنَاعِ أَيْ أَكْرَهَتْهُ الْأَدِلَّةُ وَالْآيَاتُ أَوْ هُوَ إِسْلَامُ الْكَافِرِينَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَرُؤْيَةُ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، أَوْ هُوَ الْإِكْرَاهُ عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ."(٢)

ويقول تعالى﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾(٣)

ويقول تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾(٤)

فمبدأ العبودية الإضطرارية الذى ينتظم جميع المخلوقات وعلى رأسها الإنسان، أساس مهم فى التقريب بين الناس، وفى التقليل من الخلاف بينهم(٥)

(٣) وحدة الوظيفة الكونية

إن وحدة العبودية الإضطرارية للناس بمقتضى الإرادة التكوينية لله تعالى تستلزم للإنسان وحدة الوظيفة فى هذا الكون التى قصدها الله تعالى قصدًا كونيًا من خلق الإنسان فى هذا الكون(٦)

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٣
(٢) التحرير والتنوير ج٣(ص٣٠٣)
(٣) سورة الرعد آية ١٥
(٤) سورة الإسراء آية ٤٤
(٥)محماد رفيع المنهج القرآنى فى بناء المشترك الإنسانى ،اسلامية المعرفة ،العدد٦٦ ،١٤٣٢هـ/٢٠١١م(ص١٢٠)
(٦)نفس المصدر السابق ونفس الصفحة

يقول تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)(١)

والمقصود بخلافة الإنسان هنا كما وضحها بن عاشور هى "قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض "(٢)

(٤) وحدة القدرة على الإدراك المعرفى

أنعم الله على الناس بنعمة الإدراك المعرفى، فمنذ ميلاد الإنسان يلهمه الله المؤهلات الأساسية فى إدراك المعرفة من عقل وسمع وبصر وغيرها من الحواس يقول تعالى :

(﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٣)

وتبارك الله أحسن الخالقين حيث أنه جعل ذلك على وجه المساواة بين الناس جميعًا فالناس جميعًا متساوون فى تلك المؤهلات وفى القدرة على استنباط المعرفة، وقد وضحنا ذلك سابقًا عند تناولنا لقيمة الفطرة .

وقد جعل الله تعالى تلك القدرة على الإدراك بعد نعمة التسوية الجسدية يقول تعالى:

(﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾(٤) وإنما يتفاوت الناس فى المؤهلات الفطرية الشخصية، التى لاتلغى المشترك بينهم فى الكفاءات العامة، والخطاب القرآنى للإنسان إنما يحرضه على التوظيف الأمثل للمشترك من الكفاءات بين كل الناس فى اقتناص المعرفة " وذلك من خلال الآيات المبثوثة فى صفحات كتاب الكون .

يقول تعالى : (﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(٥)

(١) سورة البقرة آية٣٠
(٢) التحرير والتنوير ج١(ص٣٩٩)
(٣) سورة النحل آية ٧٨
(٤) سورة السجدة آية ٩
(٥) سورة آل عمران آية ١٩٠

(٥) وحدة الطهارة الفطرية

خاطب القرآن الكريم الإنسان بوصفه مخلوقًا مكرمًا طاهرًا حسب فطرته التى فطره الله عليها يقول تعالى : (﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١)

فيولد طاهرًا نقيًا، لا يحمل وزر أو خطيئة غيره، إنما تتعرض تلك الفطرة لما يغيرها ويشوهها وذلك بسبب عوامل التنشئة الإجتماعية وغيرها، كما بينا سابقًا ووضح ذلك ابن عاشور.

وهو ما أخبرنا به الحق تعالى على لسان نبيه عليه السلام حين قال " وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا... "(٢)، وقوله عليه السلام "كل مولود يولد على الفطرة"(٣)

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

(٢) صحيح مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ج٤(ص١٩٧) رقم الحديث(٢٨٦٥) بلفظ " حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بْنِ عُثْمَانَ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي غَسَّانَ، وَابْنِ الْمُثَنَّى - قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: " أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ «وَذَكَرَ» الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ " وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو غَسَّانَ فِي حَدِيثِهِ: «وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ»

(٣)صحيح البخارى، - كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ج٢

ويقول ابن عاشور " لو ترك الإنسان وتفكيره ولم يلقن اعتقادًا ضالًا لاهتدى إلى التوحيد بفطرته "(١) مما يقتضى تضافر جهود مختلف الأمم لحماية الفطرة تربويًا وإعلاميًا وثقافيًا من الحرب على القيم الخلقية والأخلاقية التى تجرى الآن بشراسة فى العالم وتشكل فى العمق تحديًا خطيرًا لمجتمعات العالم(٢)

(٦) وحدة الكرامة الإنسانية

خلق الله الإنسان فأحسن خلقه، وكرمه فأحسن تكريمه يقول تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٣)

ومن مظاهر التكريم التى أنعم الله بها على الإنسان، تكريمه الجسدى ممثلًا فى هيأته البشرية القويمة وما يتبعها من التناسق فى حركاته وسلوكه خلافًا لغيره من المخلوقات، كما ذكر ابن عاشور وغيره(٤)

ومنها تكريمه المعنوى ممثلًا فيما يتميز به من قوة العقل والقدرة على التواصل ونقاء الفطرة وامتلاك وسائل ادراك المعرفة كل ذلك إنما هى أوصاف وأحكام تكوينية للنوع الإنسانى لا يستقل بها إنسان دون آخر،لأن الناس كُرِّمُوا لآدميتهم قبل أن يتوزعوا أديانًا ومذاهب وملًا ونحلًاغير أن منبع كرامة الإنسان إنما تكمن فى تحرره من عبودية غير الله تعالى حتى لا يبتعد عن أصل تكريمه وتشريفه(٥)

(ص٩٤) – رقم الحديث(١٣٥٨) بلفظ : " حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: «يُصَلَّى عَلَى كُلِّ مَوْلُودٍ مُتَوَفًّى، وَإِنْ كَانَ لِغَيَّةٍ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وُلِدَ عَلَى فِطْرَةِ الإِسلام، يَدَّعِي أَبَوَاهُ الإِسلام، أَوْ أَبُوهُ خَاصَّةً، وَإِنْ كَانَتْ أُمُّهُ عَلَى غَيْرِ الإِسلام، إِذَا اسْتَهَلَّ صَارِخًا صُلِّيَ عَلَيْهِ، وَلاَ يُصَلَّى عَلَى مَنْ لاَ يَسْتَهِلُّ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سِقْطٌ» فَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -[٩٥]-، كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، = =كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: ٣٠] الآية"

(١) التحرير والتنوير ج٢٠(ص٩٠)

(٢) محماد رفيع المنهج القرآنى فى بناء المشترك الإنسانى،(ص١٢٣)

(٣) سورة الإسراء آية ٧٠

(٤)انظر التحرير والتنوير ج١٥(ص١٦٤-١٦٥)وانظر البغوى معالم التنزيل بيروت دار بن حزم ط١ ٢٠٠٢م ص٧٤٩

(٥)محماد رفيع المنهج القرآنى فى بناء المشترك الإنسانى،(ص١٢٤)

المبحث الثاني
المشترك الإنساني وأثره فى تحقيق عالمية رسالة الإسلام

إنَّ المشترك الإنساني وتكويناته ومقوماته كما بينها القرآن الكريم وكما وضحناها سابقًا كان لها الأثر فى تحقيق عالمية رسالة الإسلام .

فالناس جميعًا سواسية لا تفاضل لأحد إلا بالتقوى والعمل الصالح وهذا ما صدقه كتاب الكون لكل الكون، تحت أساس الوحدة الإنسانية والمساواة العالمية يقول تعالى: (:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(١)

يقول ابن عاشور " وَنُودُوا بِعُنْوَانِ النَّاسُ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ رَعْيًا لِلْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ هَذَا الْعُنْوَانِ وَبَيْنَ مَا صُدِّرَ بِهِ الْغَرَضُ مِنَ التَّذْكِيرِ بِأَنَّ أَصْلَهُمْ وَاحِدٌ، أَيْ أَنَّهُمْ فِي الْخِلْقَةِ سَوَاءٌ لِيُتَوَسَّلَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ التَّفَاضُلَ وَالتَّفَاخُرَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْفَضَائِلِ وَإِلَى أَنَّ التَّفَاضُلَ فِي الْإِسْلَامِ بِزِيَادَةِ التَّقْوَى"(٢)

وتكريم رب العالمين لكل العالمين وخلقهم فى أحسن صورة دون غيرهم ممن خلق تحت أساس الكرامة الإنسانية يقول تعالى: (﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾(٣) ويقول تعالى:﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾(٤)

يقول ابن عاشور "فَأَفَادَتِ الْآيَةُ أَنَّ اللَّهَ كَوَّنَ الْإِنْسَانَ تَكْوِينًا ذَاتِيًّا مُتَنَاسِبًا مَا خَلَقَ لَهُ نَوْعَهُ مِنَ الْإِعْدَادِ لِنِظَامِهِ وَحَضَارَتِهِ، وَلَيْسَ تَقْوِيمُ صُورَةِ الْإِنْسَانِ الظَّاهِرَةِ هُوَ الْمُعْتَبَرُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا جَدِيرًا بِأَنْ يُقْسِمَ عَلَيْهِ إِذْ لَا أَثَرَ لَهُ فِي إِصْلَاحِ النَّفْسِ، وَإِصْلَاحِ الْغَيْرِ، وَالْإِصْلَاحِ فِي الْأَرْضِ، وَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ هُوَ الْمُرَادِ لَذَهَبَتِ الْمُنَاسَبَةُ الَّتِي فِي الْقَسَمِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَالْبَلَدِ الْأَمِينِ. وَإِنَّمَا هُوَ مُتَمِّمٌ لِتَقْوِيمِ النَّفْسِ."(٥)

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣
(٢) التحرير والتنوير ج٢٦(ص٢٥٨)
(٣) سورة الإسراء آية٧٠
(٤) سورة التين آية ٤
(٥) التحرير والتنوير ج٣٠(ص٤٢٤)

واختصاص الإنسان دون غيره بخلافته للأرض وتعميرها على أساس وحدة الوظيفة الكونية للإنسان يقول تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١) وبحكم فطرته الطاهرة النقية وقدرته على الإدرك واستنباط المعرفة يقول تعالى : ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾(٢) وخضوعه التكوينى الإضطرارى لخالقه سبحانه يقول تعالى ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾(٣)

وكل ما أقرته الشريعة الإسلامية فى كتابها الخالد من مقومات ذلك المشترك بين الإنسانية كلها، يدل ويؤكد عالمية ذلك الدين وتلك الشريعة السمحة وانتشارها على مدار الأزمان وفى كل مكان وذلك بفضل سماحتها وتأييدها للمشترك الإنسانى بعدالة من السماء دون تمييز أو عنصرية .

إنّ لدين الإسلام خصائص جعلت منه ذا طابعٍ عالمي، وهي: أن الله سبحانه وتعالى قال عن نفسه بأنه رب العالمين، أي رب كل الناس. وشريعته شريعة الإسلام شريعةٌ عالمية، تعالج مشكلات وأزمات الحياة والعصر، وتتماشى مع التغيرات في حياة الناس، وقابلةٌ لأن تطبّق في الظروف المختلفة والمجالات الحياتية المختلفة، حيث لا عنصرية ولا انحياز لأحد على حساب أحد، أو لذكرٍ على أنثى أو العكس، ونبذ القبلية والعصبية للأهل.

ولقد عاش غير المسلمين في كنف عدل الإسلام ونظامه والحق الذي يطبقه وصموده في وجه الفتن، وعدم اندثاره أو زواله، مما يدل على قوته وعالميته واستمراريته.

(١) سورة البقرة آية ٣٠
(٢) سورة السجدة آية ٩
(٣) سورة آل عمران آية ٨٣

وجاء الإسلام بنظامٍ متينٍ لحفظ الإنسان وحياته وأهله وعرضه وماله، على عكس الأنظمة البشرية الأخرى التي تختلف من مكانٍ لآخر، ولا تحقق هذه الميزة في هذه الأنظمة، فيستباح عرض الإنسان وماله من خلالها.

إنه الإسلام دين الرفق والرحمة بكل المخلوقات، دين الوحدة والمساواة بين الجميع فالعبادات التي يؤديها المسلمون، حيث يجتمعون من كل مكانٍ في الحج، ويقفون في مكانٍ واحد، ويؤدون شعائر موحدة، والصلاة التي يقف فيها المصلون من كل الألوان والأشكال في صفٍ واحد، لا فرق بين أحد وآخر، بالإضافة إلى الزكاة والتي يحسّ من خلالها الغني في أقصى الأرض بأخيه الفقير في القسم الآخر منها.

كما أنه الإسلام الذى لا يفرق بين لغة، ولا لون، ولاجنس تحت رايته وعدله فالناس فى كنفه أخوة متحابون ومتعاونون ومتساوون .

يجدر بالذكر أنّ صحابة الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - ورضوان الله عليهم كانوا من أصولَ مختلفة، فالصحابي الجليل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه- كان عربياً، وصهيب الرومي كان رومياً، وبلال بن رباح كان حبشياً، وسلمان كان فارسياً وعبد الله بن سلام كان من بني إسرائيل، وكلهم آمنوا برسالة النبي - صلّى الله عليه وسلّم - وعاشوا مشاعر الأُخوة تحت ظلال الإسلام...

الخاتمة

وأتناول فيها أهم نتائج الدراسة وتوصياتها

أولا: أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث:

١- لازالت كثير من المفاهيم المتداولة في الخطاب الثقافي العالمي لم تأخذ حقها من النظر والبحث والتأصيل والمراجعة في الخطاب الإسلامي، خاصة تلك المفاهيم والمعاني ذات الجذور العميقة والمتأصلة في نصوص الوحي؛ ولعل مفهوم المشترك الإنساني من تلك المفاهيم كثيرة التداول والتي لاقت رواجا وقبولا لدى مختلف العقلاء والمنظرين والمفكرين في شتى الخطابات الثقافية، حتى تداعى المنظّرون لتقريرها وترويجها وتأصيلها.

٢- يتبين مما قرره الإمام ابن عاشور في تفسيره أن البحث في المشتركات الإنسانية يقع في دائرة خصائص رسالة الإسلام لأنها رسالة عالمية، للبشرية جمعاء، لأصل نوع الإنسان ذلك المخلوق الذي اختصه الله بالإنعام والتفضيل والتكريم(ولقد كرمنا بني آدم... وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)، لذلك كانت الرسالة الإسلامية رحمة للعالمين(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)

٣- يتبين مما قرره الإمام ابن عاشور في تفسيره أن كثيرا من نصوص الوحيين اشتملت على أصول ومعان ومبادئ تنتهي إلى تقرير وتأكيد تلك المساحات المشتركة والمتجذرة في أصل النوع الإنساني، والتي لا يختلف عليها أحد.

٤- الاشتراك قدرٌ كوني وسنّة من سنن الحياة له مصادره وعوامله التي خُلقت وأُسست البشرية عليها أو تطوّر التاريخ البشري من خلالها.

٥- بين العلامة ابن عاشور أن مبنى مقاصد الشريعة على وصفها الأعظم وهو الفطرة التي هي أساس الاشتراك بين بني الإنسان.

ثانيا: أهم التوصيات:

١- أوصي الباحثين والدارسين في مجال الفقه الإسلامي بعمل دراسات مستفيضة عن جهود الفقهاء والأصوليين في تأسيس قيم المشترك الإنساني.

٢- أن تقوم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتكثيف جهودها لترسيخ قيم المشترك الإنساني من خلال الخطب المنبرية والبرامج الدعوية.

أهم المصادر والمراجع .

(١) القران الكريم
(٢) التحرير والتنوير، الإمام العلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للطباعة والنشر، تونس، (١٩٩٧م).
(٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه: صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
(٤) الحدود الانيقة، والتعريفات الدقيقة، للقاضى الشيخ زكريا بن محمد الانصارى(٨٢٤_٩٢٦ه)، تحقيق د/مازن المبارك ،١٤١١ه_١٩٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت -لبنان الطبعة الأولى
(٥) خصائص الشريعة الإسلامية ومميزاته، الشيخ السيد سابق:. المقدمة "ج١"، ط ١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، الفتح للإعلام العربي - القاهرة. وأيضًا : أصلح الأديان للإنسانية "عقيدة وشريعة" أ. أحمد عبد الغفور عطار: ط ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، مكة المكرّمة).
(٦) شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته واثاره ، د. بلقاسم الغالى دار بن حزم ،الطبعة الأولى، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧(ه _١٩٩٦م
(٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، المتوفى: ٣٩٣. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م
(٨) فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري(المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة: الأولى

(٩) القاموس المحيط ، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م

(١٠) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، باب العين ،مادة (عيش)،(مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى،أحمد الزيات، حامد عبد القادر محمد النجار الناشر : دار الدعوة، ط(د.ت)

(١١) محمد الطَّاهر ابن عاشُور، علَّامة الفِقه وأصوله والتَّفسير وعُلومه، تأليف: إياد خالد الطَّباع، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى (١٤٢٦ه-٢٠٠٥م)

(١٢) محماد رفيع المنهج القرآنى فى بناء المشترك الإنسانى ،اسلامية المعرفة العدد٦٦ ،١٤٣٢ه/٢٠١١م

(١٣) مختار الصحاح للرازى زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

(١٤) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط(د.ت)

(١٥) المشترك الإنساني نظرة جديدة للتقارب بين الشعوب، راغب السرجانى، مؤسسة اقرا،القاهرة،ط١(١٤٣٢ه/٢٠١١م)

(١٦) معجم البلدان ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى شهاب الدين ابو عبدالله (ت٦٢٦ه) الناشر دار صادر ،بيروت ،الطبعة الثانية ، سنة النشر (١٣٩٧ه_١٩٩٣م)

(١٧) معجم مقاييس اللغة؛ المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩

(١٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي المؤلف : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي -بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

(١٩) مقاصد الشريعة الإسلامية المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) المحقق:محمد الحبيب ابن الخوجة الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر عام النشر: ١٤٢٥ هـ

(٢٠) من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته واثاره، د. بلقاسم الغالى، دار بن حزم الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤١٧(ه _١٩٩٦م)

(٢١) المنهج القرآني في بناء المشترك الإنساني، رفيع محماد بن محمد، مجلة إسلامية المعرفة عدد ٦٦،المجلد ١٧ سنة النشر ٢٠١١م/١٤٣٢ه، بيروت

(٢٢) النصرانية والإسلام، أ. محمد عزت الطهطاوي:. ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، مكتبة النور - القاهرة).

(٢٣) نظرات فى مقاصد العمران الإنساني فى القرآن ،أحمد الفراك ،مجلة بحوث العلوم الإسلامية ،العدد٣ /٢٠١٨م،